جيوش المستقبل

جاء في العدد الاخير من مجلة البابيروس التي ينشئها صديقي ميخائيل مونان الكاتب الاميركاني البليغ مقالة من قلمه تحت عنوان « صورتان » يقابل فيها بين كلام لكارليل في الحرب وكلام لكارل مركس (١) فاستحسنت نقلها الى المقتبس لارجاء نشر محاسن مجلة صديقي الصغيرة النفيسة التي لا تنفعها الشهرة العربية بل حرصاً على بث رأي الفيلسوف الالماني الجليل وحباً بالسلم العام الذي لا يستتب كل الاستتباب الا اذا تأصلت جرثومة بغض الحرب في قلب كل انسان . لكارليل فصل مشهور يصف فيه جيشين متعادين واقفين في ساحة القتال ينتظران اوامر قوادهما على حين ليس من عداوة بين رجال الجيشين ولا ثأر ولا ترات ولا يحملهم على القتال شيء من الضغائن الشخصية ولا دعاهم الى ساحة الحرب داع من دواعي الأمة والوطنية التي يحسبها بعضهم شريفة جليلة فهم هناك امتثالاً لارادة حكامهم المطلقة وطوعاً لاوامرهم العالية . هم ثمت لا لاسباب لها مساس بشؤونهم العالمية ولا لدواع تستلزمها مصالحهم الخصوصية ولا لاغراض ينتفعهم تعزيزها وتنفيذها ولا لمبادئ يبتهم نشرها ومعرفتها وتراهم مع هذا هجروا نساءهم واولادهم وبيوتهم وآباءهم وأمهاتهم وكل ما يرغبهم في الحياة ليريقوا دماءهم الطاهرة ودماء غيرهم من الابرياء من اجل اهواء حكامهم الخبيثة او مطامعهم الباطلة . وفي كلا الجيشين كهنة يحرضون الرجال على القتال ويزينون لهم الجهاد في سبيل الأمة والوطن . يزينون لهم سفك الدماء الذي يؤهلهم الى الخلاص بالمسيح كما يزعمون . ويبرهنون لهم احسن برهان بان عملهم هذا مطابق للارادة الالهية التي يمثلها في حكامه المختارين المباركين ولما كان الكهنة يعزون مثل هذا الجهاد الى ارادة الاهية

---

(١) هو شيخ الاشتراكيين وزعيمهم (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) وكتابه « رأس المال » شبه انجيل عند اصحاب هذا المبدإ . يروى عنه انه عزم مرة على السفر الى اميركا بعد ان نفي من وطنه المانيا ومن فرنسا ايضاً وكان يسكن لندره اذ ذاك قائلاً بشظف العيش راضياً عن الاضطهاد ثم عدل عن السفر قائلاً : اذا سافرت الى اميركا فاني اتعاطى فيها التجارة ولا شك اني اغتني ويكون الغنى آخرة « كارل مركس » وفي ذلك دليل على ان التآليف العلمية الدقيقة الزائلة هي بنت الفخفخة والترف في الحضارة واما الكتب الموحاة الخالدة فهي غالباً بنت الفاقة وخشونة العيش . وبعد ان عدل عن السفر الى اميركا اخذ في تأليف كتابه المذكور الذي خدم به علمي الاقتصاد والعمران كما خدم درون في تآليفه علمي النبات والحيوان

شأنهم في كل حرب منذ بدأت القبائل والشعوب تغزو بعضها بعضاً للقتل والسلب والنهب فينتج عن ذلك ان الله عز وجل هو المسئول وحده عن الحرب واهوالها . وهكذا يهجم الفجار بعضهم على بعض هجوم الوحوش الضارية وقد فعلت هذه الشبيهات الدينية في الرؤوس فيذبحون اخوانهم ويفادون بانفسهم للذبح راضين قانعين لان حكامهم أمروا بذلك وكهنتهم آذنوا به بل حرضوا عليه . على انهم يسيرون الى ساحة الحرب بادئ بدء بفتور همة وتردد حتى اذا تقابل الجيشان تتغير الوجوه وتلعب في القلوب روح الهمجية ونهمة القتال . فينقلبون سريعاً واي انقلاب . ولم يكونوا من قبل ليفكروا في غير بيوتهم وعيالهم المهجورة وفي النول والمحراث والمعمل وادوات الصنائع المتروكة . واما الآن فلا يهزهم سوى نهمة وحشية واحدة فبراثم قد فقدوا كل عاطفة بشرية تراهم يفرحون ويتهللون بسفك الدماء فيصرخون وقد ملأت رائحة الدم خياشيمهم اقتلوا اقتلوا اقتلوا . هذه هي الصورة الهائلة التي صورها كارليل

وهناك صورة أخرى تمثل الجيشين المتعاديين صورها كارل مركس بقلمه . وليست الصورة هذه مشهورة كالأولى ولكن ستهيج عزيزة فريدة في المستقبل تفوق صورة كارليل شهرة وتستحوذ على موحيها ومؤلفها رضوان الله وثناء العباد . وليست هي في الحقيقة صورة بل هي نبوة قد يشاهد احفادنا تحقيقها عياناً . وصف كارل مركس اجتماع الجيشين يقتتلان كما وصفهما كارليل فهما ايضاً مؤلفان من عامة الناس الذين يقدمهم الحكام طعمة للحرب قال : ها قد دعوا الآن الى ساحة القتال ولا مصلحة تبعثهم عليه ولا غرض ولا ثأر ولا مبدأ ولا داع البتة ولا سبب يتعلق بشؤونهم الخصوصية ولا واجباً حقيقياً نحو الامة والوطن يوجب عليهم سفك الدماء الزكية ومع هذا كله ترى الكهنة بينهم يحرفون على عادتهم عملاً بتقاليد تجارتهم وبعد ان يبثوا في الجيشين روح الدين — بعد ان يتخذوا في قلوب الرجال نهمة القتال يتقهقرون ساكنين ويتخذون لهم مراكز آمنة في مؤخرة العسكر . وكأنك بالجيشين قد تقابلا وصدرت اوامر القوّاد ولكن بدل ان يهجم الرجال بعضهم على بعض هذه المرة هجوم الاعداء تراهم قد رموا بسلاحهم الى الارض وتصافحوا مصافحة الاخوان . وعندئذ يختفي الى الابد شبح الحرب الهائل . ويهجر الكهنة والغربان ساحة القتال آسفين . ويتنازل الحكام عن عروشهم ويتعزز الاخاء الحقيقي ويبتدئ عصر الانسانية

ومن لا يفضل صورة كارل مركس هذه على صورة كارليل : من لا يعمل استطاعته ليقرب اليوم الذي فيه تحقق هذه النبوة ؟ ومن لا يبذل ما في وسعه في سبيل هذه الامنية الجميلة ؟ فحيا لليوم الذي فيه يبتدئ عصر الانسانية والمحبة البشرية لبنان امين ريحاني